عُمْرَةُ القَضَاءِ

خُرُوجُ الرَّسُولِ ﷺ مُعْتَمِرًا فِي ذِي القَعدَةِ:

وفى ذى القعدة فى السنة السابعة من الهجرة خرج الرسول ﷺ إلى مكة قاصدًا العمرة، كما اتفق مع قريش فى صلح الحديبية، وقد بلغ عدد من شهد عمرة القضاء ألفين سوى النساء والصبيان، ولم يتخلف من أهل الحديبية إلا من استشهد فى خيبر أو مات قبل عمرة القضاء[1].

واستخلف على المدينة عُوَيف بن الأضبَط الدِّيلى أو أبا رُهْم الغفارى، وساق ستين بدنة، وجعل عليها ناجية بن جُندُب الأسلمى، وأحرم للعمرة من ذى الحُلَيفة، ولبى ولبى المسلمون معه، وخرج مستعدًّا بالسلاح والمقاتلة؛ خشية أن يقع من قريش غدر، فلما بلغ يأجج وضع الأداة كلها الحَجَف والمجَان والنّبل والرِّماح، وخلف عليها أوس بن خَوْلى الأنصارى فى مائتى رجل، ودخل بسلاح الراكب: السيوف فى القرب[2].

دُخُولُ مَكَّةَ وَالطَّوَافُ وَالسَّعْيُ:

ومن بطن يأجج تابع رسول الله ﷺ سيره نحو مكة على راحلته القصواء، فدخلها من الثنية التى تطلعه على الحجون، والمسلمون حوله متوشحون سيوفهم محدقون به كل جانب، يسترونه من المشركين مخافة أن يؤذوه بشيء، وأصواتهم تشق عنان السماء بالتلبية لله العلى الكبير.

وقد خرج قسم من أهالى مكة إلى رؤوس الجبال؛ لينظر إلى المسلمين من الأماكن العالية، والقسم الأكبر وقف عند دار الندوة المجاورة للكعبة الشريفة آنذاك؛ ليشاهدوا رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام أثناء دخولهم مكة المكرمة وبيت الله الحرام.

وكان المشركون قد أطلقوا شائعة ضد المسلمين مفادها أنهم وهنتهم حُمَّى يثرب، فأمر النبى ﷺ أصحابه أن يرملوا الأشواط الثلاثة، وأن يمشوا ما بين الركنين؛ لكى يرى المشركون قوتهم ودخل رسول الله ﷺ، واضطبع بردائه فأخرج عضده اليمنى وشرع فى الطواف وأصحابه يتابعونه، ويقتدون به، ولما رأى المشركون ذلك قالوا: هؤلاء الذين

---

(١) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ٤١٥).

(٢) الرحيق المختوم ص ٣٣٢.

زعمتم أن الحمى قد وهنتهم، هؤلاء أجلد من كذا وكذا [١].

وَكان عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ بَيْنَ يَدَيْ رسول الله ﷺ يَمْشِي وهو يرتجز متوشحا بالسيف وَهُوَ يَقُولُ:

خَلُّوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ ... خلوا فكل الخير في رسوله
قد أنزل الرحمن في تنزيله ... في صحف تتلى على رسوله
يا رب إني مؤمن بقيله ... إني رأيت الحق في قبوله
يأت خير القتل في سبيله ... الْيَوْمَ نَضْرِبْكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ
ضَرْبًا يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ ... وَيُذْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا ابْنَ رَوَاحَةَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَفِي حَرَمِ اللَّهِ، تَقُولُ الشِّعْرَ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**خَلِّ عَنْهُ يَا عُمَرُ، فَلَهِيَ أَسْرَعُ فِيهِمْ مِنْ نَضْحِ النَّبْلِ**».

ولما فرغ من الطواف سعى بين الصفا والمروة، فلما فرغ من السعى وقد وقف الهدى عند المروة قال: "هذا المنحر وكل فجاج مكة منحر" فنحر عند المروة، وحلق هناك وكذلك فعل المسلمون ثم بعث ناسًا إلى يأجج؛ ليقيموا على السلاح، ويأتى الآخرون فيقضون نسكهم ففعلوا [٢].

النَّبِيُّ ﷺ يَتَزَوَّجُ مَيْمُونَةَ رضى الله عنها:

وفى هذه العمرة تزوج النبى ﷺ بميمونة بنت الحارث العامرية، وكان رسول الله ﷺ قبل الدخول فى مكة قد بعث جعفر بن أبى طالب بين يديه إلى ميمونة، فجعلت أمرها إلى العباس وكانت أختها أم الفضل تحته فزوجها إياه، فلما خرج من مكة خلف أبا رافع؛ ليحمل ميمونة إليه حين يمشى فبنى بها بسرف [٣].

رَسُولُ قُرَيْشٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ:

أقام رسول الله ﷺ بمكة ثلاثا فأتاه حويطب بن عبد العُزى فى نفر من قريش فى اليوم الثالث، وكانت قريش قد وكلته بإخراج رسول الله ﷺ من مكة فقالوا له: إنه قد انقضى أجلك فاخرج عنا فقال النبى ﷺ: «**وما عليكم لو تركتمونى فأعرست بين أظهركم**

---

(١) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ٤١٦ - ٤١٧) بتصرف.
(٢) الرحيق المختوم ٣٣٢ - ٣٣٣.
(٣) سيرة الرسول أبو عمار ص ٥٢١.

وصنعنا لكم طعامًا فحضرتموه» قالوا: لا حاجة لنا فى طعامك، فاخرج عنا فانصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة فى ذى الحجة بعد أن بنى بميمونة بسرف[١].

خُرُوجُ ابْنَةِ حَمْزَةَ بنِ عَبْدِ المطّلبِ خَلْفَ النّبِيِّ ﷺ:

لما أراد النبي ﷺ الخروج من مكة فَتبِعَتْهُ ابْنَةُ حَمْزَةَ تنادي: يَا عَمِّ يَا عَمِّ فَتَنَاوَلَهَا عَلِيُّ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَأَخَذَ بِيَدِهَا وَقَالَ لِفَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلام دُونَكِ ابْنَةَ عَمِّكِ حَمَلَتْهَا فَاخْتَصَمَ فِيهَا عَلِيٌّ وَزَيْدٌ وَجَعْفَرٌ فَقَالَ عَلِيٌّ أَنَا أَحَقُّ بِهَا وَهِيَ ابْنَةُ عَمِّي وَقَالَ جَعْفَرٌ ابْنَةُ عَمِّي وَخَالَتُهَا تَحْتِي وَقَالَ زَيْدٌ ابْنَةُ أَخِي فَقَضَى بِهَا النَّبِيُّ ﷺ لِخَالَتِهَا وَقَالَ: «**الْخَالَةُ بِمَنْزِلَةِ الأُمِّ**» وَقَالَ لِعَلِيٍّ: «**أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ**» وَقَالَ لِجَعْفَرٍ: «**أَشْبَهْتَ خَلْقِي وَخُلُقِي**» وَقَالَ لِزَيْدٍ: «**أَنْتَ أَخُونَا وَمَوْلانَا**».

وقال علي لزيد: ألا تتزوج بنت حمزة؟ قال: إنها ابنة أخي من الرضاعة[٢].

سَبَبُ تَسْمِيَتِهَا بِعُمْرَةِ القَضَاءِ:

سميت هذه العمرة بعمرة القضاء؛ إما لأنها كانت قضاء عن عمرة الحديبية، أو لأنها وقعت حسب المقاضاة أى: المصالحة التى وقعت فى الحديبية، والوجه الثانى رجحه المحققون، وهذه العمرة تسمى بأربعة أسماء القضاء والقضية والقصاص والصُّلح[٣].

السَّرَايَا بَعْدَ عُمْرَةِ القَضَاءِ:

وقد أرسل رسول الله ﷺ بعد الرجوع من هذه العمرة عدة سرايا وهى كما يلى:

سرية ابن أبي العوجاء فى ذى الحجة سنة٧هـ، فى خمسين رجلاً، بعثه رسول الله ﷺ إلى بنى سليم؛ ليدعوهم إلى الإسلام فقالوا: لا حاجة لنا إلى ما دعوتنا ثم قاتلوا قتالاً شديدًا جرح فيه أبو العوجاء، وأسر رجلان من العدو.

١- سَرِيَّةُ غَالِبِ بنِ عَبْدِ اللّهِ إِلَى مَصَابِ أَصْحَابِ بَشِيرِ بنِ سَعْدٍ بِفَدَك:

فى صفر سنة ٨هـ بعث فى مائتى رجل فأصابوا من العدو نعما، وقتلوا منهم قتلى.

---

(١) ابن هشام (٢ / ١١٨).

(٢) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ٤١٩ - ٤٢٠).

(٣) الرحيق المختوم ص ٣٣٣.

٢- سَرِيَّةُ ذَاتِ أَطلح:

فى ربيع الأول سنة٨هـ، كانت بنو قضاعة قد حشدت جموعًا كبيرة؛ للإغارة على المسلمين، فبعث إليهم رسول الله ﷺ كعب بن عمير الأنصارى فى خمسة عشر رجلاً، فلقوا العدو فدعوهم إلى الإسلام فلم يستجيبوا لهم، وأرشقوهم بالنبل حتى استشهد كلهم إلا رجلاً واحدًا فقد ارتُثَّ من بين القتلى.

٣- سَرِيَّةُ ذَاتِ عِرْقٍ إِلَى بَنِي هَوَازِن:

فى ربيع الأول سنة٨هـ، كانت بنو هوازن قد أمدت الأعداء مرة بعد أخرى فأرسل إليها شُجاع بن وهب الأسدى فى خمسة وعشرين رجلاً، فاستاقوا نعما من العدو، ولم يلقوا كيدًا[1].

العِبَرُ وَالعِظَاتُ:

١- هذه العمرة تعتبر تصديقًا إلهيًّا لما وعد به النبى ﷺ أصحابه من دخولهم مكة وطوافهم بالبيت، وقد رأيت كيف سأل عمر رسول الله ﷺ أثناء صلح الحديبية أو لست كنت تحدثنا أنا سنأتى البيت فنطوف به فأجابه: «**بلى أفأخبرتك أنك تأتيه عامك هذا؟**» قال: لا، قال: فإنك آتيه ومطوَّف به.

فهذا هو مصداق وعد رسول الله ﷺ وقد نبه الله - عز وجل- عباده إلى هذا التصديق فى قوله: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾ [الفتح: ٢٧].

ثم إن هذه العمرة انطوت على معنى تمهيدى للفتح الكبير الذى جاء بعده، فقد كان لمرآى ذلك العدد الوفير من الأنصار والمهاجرين وهم محدوقون برسول الله ﷺ فى طوافهم بالبيت وسائر مناسكهم، فى حماس ونشاط غير مأمولين منهم فيما كان يتصوره المشركون، كان ذلك أثر بعيد فى نفوسهم، فقد داخلتها الرهبة منهم إذ فوجئوا بعكس ما كانوا يتصورون فيهم من الضعف والخمول؛ بسبب ما قد يحتمل أن يكونوا قد أصيبوا

---

(١) الرحيق المختوم ص ٣٣٣.

من حمى يثرب وسوء مناخها [١] .

٢- اصطحاب النبى ﷺ السلاح الكامل معه ووضعه خارج الحرم قريبًا منه ؛ لأنه لا يأمن غدر مشركى قريش وخيانتهم ، ولذلك احتاط ﷺ وأخذ الحذر ، ووفى بعهده ووعد لقريش ؛ حيث وضع السلاح خارج الحرم ، وعلم الأمة لكى تحذر من أعدائها وأبقى كوكبة من الصحابة فى حراسة الأسلحة والعتاد ؛ لكى يراقبوا الموقف بدقة وفى ذلك معنى من معانى العبادة فى هذا الدين [٢] .

٣- ولم ينس ﷺ مجموعة الحراس التى كانت تحرس الأسلحة والعتاد بأن يرسل من يقوم بمهمتهم ممن طاف وسعى مكانهم ، ويأتى هؤلاء ؛ ليؤدوا النسك فقد كان ﷺ يتعامل مع نفوس يدرك حقيقة شوقها لبيت الله الحرام ، وما جاءت للمرة الثانية وقطعت هذه المسافة الشاسعة إلا لتنال هذا الشرف وتبل هذا الظمأ فتطوف مع الطائفين وتسعى مع الساعين فعمل ﷺ على مراعاة النفوس ، وساعدها ولبى مطالبها من أجل إصلاحها والرقى بها ؛ إنه من منهج النبوة فى التربية [٣] .

٤- ونرى فى تنافس الصحابة عليّ وجعفر وزيد - رضوان الله عليهم- فى أخذ ابنة حمزة بن عبد المطلب ، كيف غير الإسلام النفوس والعقول تغييرًا عظيمًا ، فعادت البنت التى يتعير بها اشراف العرب ، وجرت عادة وأدها فى بعض القبائل فرارًا من العار وزهدًا فى البنات - حبيبة يتنافس فى تربيتها المسلمون [٤] ، هذا وقد اعتمر رسول الله ﷺ أربع عمرات وحج حجة واحدة روى مسلم بسنده عن أنس - رضى الله عنه- أن رسول الله ﷺ اعتمر أربع عمر ، كلهن فى ذى القعدة إلا التى مع حجته: عمرة من الحديبية فى ذى القعدة ، وعمرة من العام المقبل فى ذى القعدة ، وعمرة من الجعرانة ؛ حيث قسم غنائم حنين فى ذى القعدة ، وعمرة فى حجته [٥] .

* * *

(١) فقه السيرة للبوطي ص ٢٧٠ .
(٢)السيرة النبوية للصلابي (٢ / ٤١٦) .
(٣)السيرة النبوية للصلابي (٢ / ٤١٨) .
(٤) المصدر السابق ٢ / ٤١٩ بتصرف .
(٥) فقه السيرة للبوطي ٢٧١ .